

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة ديالى

كلية القانون والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

الماركسية الضريبة الجديدة بين طروحات المدرسة النقدية و الرؤية الفكرية المستقبلية

بحث تقدم به الطالب : منير نعيم ابراهيم

الى :

كلية القانون و العلوم السياسية - قسم العلوم السياسية

و هو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية

اشراف

د. طلال حامد خليل

٢٠١٧ م

١٤٣٨ هـ





﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم

[البقرة : ٢٦٩]

الاعتماد على الله ثم على النفس ، الى من نقش في صدري

الاعتماد على الله ثم على النفس ، الى من نقش في صدري
حب العلم والعطاء والانفة وعلو الهامة وتحدي الذات للوصول الى المبتغى والمرام . . . أبي

العزیز

الى من ارضعتني الحب والحنان ، الى من احب وبلسم الشفاء ، الى القلب الناصع بالبياض

. امي الحبيبة .

الى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البرئة اليرياحين حياتي . . . اخوتي واخواتي

الى كل من ساندني وقدم لي الدعم والمؤازرة وانا ريدروب المعرفة ومسالكتها .

الاعتماد على الله ثم على النفس

الاعتماد على الله ثم على النفس
الاعتماد على الله ثم على النفس
الاعتماد على الله ثم على النفس

شكرًا وتقديرًا
في شهر ربيع الثاني سنة ١٤٣٦ هـ

فمثل هذه اللحظات يتوقف اليراع قبل ان يخط الحروف ليجمعها في الكلمات تبعثر الاحرف

وعبثًا ان يحاول تجميعها في سطور و سطور كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف الا

قليلا من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا الى جانبنا

الواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطو خطوتنا الاولى ونخص بمجزيل الشكر والعرفان

الكل من اشعل شمعة في دروب عملنا و مزوقف على المنابر واعطانا من بنيات فكرة لينير

دربنا الى الاساتذة الكرام في كلية القانون والعلوم السياسية .

وتوجه بالشكر الجزيل الى الاستاذ الدكتور (طلال حامد خليل) الذي تفضل بالاشراف

على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير وله منا كل التقدير والاحترام.

شكرًا وتقديرًا
حامد حامد

من شهر ربيع الثاني سنة ١٤٣٦ هـ
حامد حامد

اقرار المشرف

أشهد أن اعداد هذا البحث الموسوم ((الماركسية الغربية الجديدة بين طروحات المدرسة النقدية و الرؤية الفكرية المستقبلية)) قد جرى تحت اشرافي في كلية القانون والعلوم السياسية / جامعة ديالى وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في كلية القانون و العلوم السياسية / قسم العلوم السياسية .

المشرف :

التوقيع :

التاريخ : ٢٠١٧ / /



قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الإهداء
ج	شكر و تقدير
د	اقرار المشرف
هـ	قائمة المحتويات
٢-١	المقدمة
٩-٣	المبحث الاول مفهوم الماركسية
٤	تعريف المصطلحات
٥	اقسام الاشتراكية
١٦-١٠	المبحث الثاني الاصول الاولى للنظرية الماركسية
١٣	اصول الديالكتيك
١٣	حركة التطور
١٥	قفزات التطور
٢٣-١٧	المبحث الثالث النظرية الاقتصادية و الاجتماعية الماركسية
١٧	اولاً : النظرية الاقتصادية
٢٠	ثانياً : النظرية الاجتماعية
٢٢	الماركسية عند التنفيذ
٣٠-٢٤	المبحث الرابع النظريات الماركسية التقليدية
٢٥	النظريات و المقترحات الماركسية الجديدة (البنوية)
٢٨	تقييم الاتجاه الماركسي للتنظير في العلاقات الدولية
٣١	الخاتمة و الاستنتاجات
٣٣	قائمة المصادر

مقدمة

منذ زمن ليس ببعيد أخذت أمواج المادية الأوروبية تداعب العالم في رفق وهدوء، فلم تستطع أن تخترقه إلى الداخل، ثم كانت الحروب الأخيرة وما صاحبها من تقدم سريع في العلوم والمعارف وتقارب بين البلدان النائية ونزول كثير من أشنات الأمم، وأفراد الشعوب في هذه البلاد، فعلا مدها، وطغت غواربها، وتدفقت على السهل الخصب تمزج ماءها الأجاج بمائه العذب، وتدخل إلى أعرق حصونه - نفوس أبنائه - فزلزلت إيمانهم القديم ببلادهم، ومعنوياتهم التي فطروا على تقديسها واحترامها وأعطتهم نظرة جافة قاصرة، وأخذت منهم إيماناً سخياً كريماً، فأصبحوا يرون أن كلا من الفرد والمجتمع مسير لا مخير، مقضي عليه بأداء الأعمال بحكم هذه الجبرية التي تتمثل في الغرائز عند الفرد، وفي المادية الاقتصادية بالنسبة للمجتمع.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في إظهار هشاشة الفكر الماركسي في معالجته لقوانين الثورة في النظام الرأسمالي المتقدم. وهذه الهشاشة لا تنطبق على ماركس وإنجلز ولينين حين وضعوا الثورة العنيفة في جوهر النظرية فحسب، وإنما تنطبق، أيضاً، وبالقدر نفسه على الذين وضعوا أطروحة التحول السلمي نحو الاشتراكية في جوهر نظرية الثورة. فالمشكل هنا أبعد من مثل هذا الجوهر أو ذلك، وإنما المنطلقات النظرية من أساسها يشوبها خلل خطير، أي إبتداءً بتحليل نشوء النظام الرأسمالي وطبيعة تناقضاته، مروراً بفهم طبيعة التناقضات العالمية في ظل السيطرة الرأسمالية العالمية، وإنتهاءً بمختلف موضوعات ((الاشتراكية العلمية)) نفسها. ولهذا كانت الأغصان والثمرات التي تتغذى من تلك الجذور تخرج في حالة هشاشة أي في حالة

أخطاء مستمرة في مواجهتها للواقع ولقوانين الحياة والمجتمعات، ولمعالجة مسائل الثورة وغيرها من المسائل.

اشكالية البحث

يحاول البحث الاجابة عن :

- ١- مفهوم (الاشتراكية ، الماركسية ، الشيوعية) .
- ٢- ماهية اصول الديالكتيك و نظرية التطور الديالكتيكية .
- ٣- ماهية النظرية الاقتصادية و الاجتماعية عند الماركسيين

فرضية البحث

ان انتشار الرأسمالية الماركسية في العالم و سيطرتها على دول العالم الثالث قد ولد أزمة مالية و عدد من المشاكل التي كانت حاجزا امام تطور المجتمعات .

منهجية البحث

لقد استخدمت المناهج الآتية في البحث و منها المنهج التحليلي و المنهج التاريخي للإحاطة بموضوع البحث .

هيكلية البحث

ان هذا البحث يتكون من اربعة مباحث ، حيث تضمن المبحث الاول بيان ماهية مفهوم الماركسية و اقسامها ، اما المبحث الثاني فقد تناول الاصول الاولى للنظرية الماركسية و تطورها ، و تضمن المبحث الثالث النظرية الاجتماعية و الاقتصادية الماركسية ختاماً بالمبحث الرابع الذي يدور حول النظرية الماركسية التقليدية و الجديدة و تقييم الاتجاه الماركسي للتنظير في العلاقات الدولية وصولاً الى اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

المبحث الأول

تمهيد

ظهرت الماركسية كمذهب و تيار فكري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، و سميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي و الاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحتة بعيدة عن الميتافيزيقية و المثالية تدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج و التي تملكها الطبقة الرأسمالية و طبقة البروليتاريا الكادحة و تطور المجتمع من طبقة إلى أخرى حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات كما وضع قوانين جدلية و تاريخية و اتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب و لم تضمحل الرأسمالية لتحل محلها الاشتراكية و من ثم الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين لنقد نظريته و نعتها بالناقصة، ليأتي من بعده تلامذته و مفكرين معجبين بنظريته و اتبعوا خطاه و درسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه فوجدوها تحوي على نقائص، مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية و اكتشاف طبقة وسطى في المجتمع و إضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن كارل ماركس مع حفاظهم على الأساس و لب النظرية الكلاسيكية.

فيا ترى هل استطاع كارل ماركس و الجيل الذي بعده من خلال النظرية دراسة المجتمع دراسة علمية

بعيدة عن الميتافيزيقية و التأثير فيه؟

(تعريف المصطلحات)

(الاشتراكية.. الماركسية.. الشيوعية.. الخ)

نرى من الأهمية بمكان أن نحدد معاني كلمات الاشتراكية والماركسية والشيوعية، وما يتفرع عنها، والفرق بين الواحدة والأخرى حيث أن الخلط قد كثر في هذه الناحية من ذلك أن الأستاذ السيد صبري^(١) الأستاذ بكلية الحقوق يرى "أن الشيوعية هي الجناح الأيسر من الاشتراكية"، ويستطرد فيقول: "هذه المذاهب ترمي إلى القضاء على الرأسمالية بصفة عامة على اعتبار أنها أساس المحن والحروب، غير أن أصحابها لم يجمعوا على رأي واحد، بل انقسموا شيعًا وأحزابًا، ولعل أهم هذه المذاهب مذهبان: الجماعية Collectivism والشيوعية Communism، وكلا المذهبين يرى أن تقوم الحكومة على الإنتاج والتوزيع، غير أن الجماعيين يرون أن يكون التوزيع على أساس مقدرة كل شخص على العمل، بينما يذهب الشيوعيون إلى أن يكون التوزيع على أساس حاجة كل فرد، لأن اختلاف القدرة من عمل الطبيعة ولا دخل للفرد فيه".

وقريب من ذلك ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور أحمد زكي بك الذي قال: "إن الفرق بين الاشتراكية والشيوعية، بصرف النظر عما ق(ب ت) فهمه من معاني أسمائهما فرق ابتداء وانتهاء، أنهما يتبدآن مختلفين، ولا شك أنهما سوف ينتهيان مجتمعين، الاشتراكية بدأت بالحياة الواقعية كما هي، ورضيتها ورضيت أوضاعها، ثم أخذت في تعديلها برفق وفي حذر، وفي غير معارضة كبيرة للطبيعة البشرية خشية أن تثور، فهي تؤمن بالفروق غير الكبيرة، وهي تؤمن بالحرية العاقلة الراحمة، وهي تؤمن بالآمال الفردية أن لها مجالاً لا يجب أن يضيق فتضيق به النفوس كما تضيق الأنفاس، وهي تؤمن بحق الفرد أن يشكل حياته اختيارًا، ولكن في غير استغلال لغيره أو عدوان عليه.

(١) اسماعيل مطهر، مقتطفات من رسالة عصر الاشتراكية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (ب ت)، ص ٢٠.

أما الشيوعية فبدأت بالحياة كما خالتها أن تكون، وقد خالتها في أول الأمر كحياة الجند ساوى بينهم المأكل والملبس، وانقسموا فرقا وأطاعوا نظامًا، وما كان لهم أن يعصوا أمرًا ونظروا إلى الحياة الواقعة فوجدوها أبعد ما تكون مما خالوا فحطموها تحطيمًا لبدأوا من جديد، فالملكية ألغوها، والإرث ألغوه،

والادخار منعه، واستئجار الناس بعضهم لبعض في عمل نسحوه، فلا أجر غير الدولة، ولا تاجر غير الدولة، ولا طاعم ولا كاسي غير الدولة، حطموا الحياة ثم بدأوا من جديد يركبون من حطامها على التساوي من بعد دماء كثيرة سالت.

ثم تدور السنون فإذا المتساوون يبدأون يختلفون كسبًا ويختلفون نصيبًا من نعمة الحياة واضطروا تحت ضغط الطبيعة الإنسانية أن يجيزوا الادخار ويجيزوا الثراء للفرد على أن تستغله الدولة له واضطروا تحت ضغط الحيلة البشرية أن يجيزوا الإرث في حدود، فالشيوعية سوف تنتهي صاعدة إلى ما انتهت إليه الاشتراكية هابطة"^(١).

أقسام الاشتراكية

أما علماء الاقتصاد السياسي فإنهم يقسمون الاشتراكية والشيوعية إلى أقسام عديدة تختلف تعريفاتها حسب تبويبهم لها، فهي حسب التبويب التاريخي^(٢).

اشتراكية خيالية :

وهو تصور نزعات مثالية، وآمال خيالية إلى حد ما في مدينة فاضلة تصورها كتاب القرنين السادس عشر والسابع عشر، منهم توماس مور الإنجليزي، وكامبلانا الإيطالي، ومورلي وكايبه، ولكل

(١) مجلة الهلال : دار الهلال ، القاهرة ، عدد مايو سنة ١٩٤٨ ، الجزء ٥ من المجلد ٥٦ ، ص ٤٩ .

(٢) د. عبد الحكيم الرفاعي بك ، الاقتصاد السياسي ، مطبعة لجنة البيان والتأليف والترجمة والنشر ، (ب ت) .، ص ٥١ -

واحد من هؤلاء مؤلف يمثل تصوراته في المدينة المثالية الفاضلة، ومنهم أيضًا : سان سيمون، وفورييه وبلان، وبرودون، وروبرت أوين، وليس لهؤلاء كتب كالكتب السابقة، ولكن لهم مذاهب وآراء تقرب بينهم ولبعضهم محاولات عملية في هذا السبيل لم تنجح، فيما عدا أوين الذي ازدهرت حركته تحت راية التعاون.

اشتراكية علمية :

مهد لها رودبرتس (١٨٠٥-١٨٧٥) وهو ألماني، ولاسال وهو ألماني أيضًا (١٨٢٥-١٨٦٤)، ومؤسس الجمعية العمومية للعمال الألمان وصاحب قانون الجور الحديدي، وصاحبها الأشهر الذي برز بها وفسرها وأعطها شكلها الحديث هو كارل ماركس الذي ولد في ترفز (ألمانيا) في ٥ مايو سنة ١٨١٨، ومات بلندن في ١٤ مارس سنة ١٨٨٣م، وسنرى ان نظرية كارل ماركس تدور حول التطور المادي للتاريخ وصراع الطبقات، وقيمة العمل وفائض القيمة والأزمات^(١).

والاشتراكية والشيوعية في نظر علماء الاقتصاد السياسي من حيث الإنتاج والملكية والمساواة تنقسم إلى عدة مذاهب أهمها^(٢) :

الجماعية Collectivism أي استيلاء الدولة على وسائل الإنتاج ورؤوس الأموال باعتبارها ممثلة للمجموع، وإلغاء الملكية الفردية الكبيرة في الزراعة والصناعة، والإبقاء على الصغيرة منها، وكذلك أموال الاستهلاك لأنها ناتجة عن العمل، ويأخذ كل فرد (ت) بَعًا لعمله a Chacun selon son travail.

الشيوعية Communism :

إلغاء الملكية أيًا كانت صغيرة أو كبيرة، وكذلك أموال الاستهلاك ويأخذ كل فرد ما يحتاج إليه، كما في العائلة De chacun suivant ses forces, a chacun suivant ses besoin^(٣).

والفرق بين الاشتراكية الخيالية وبين الاشتراكية العلمية أن الأولى لا تبحث

(١) بيليس (جون) و سميث (ستيف)، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث ، مركز الخليج للأبحاث، دبي ، ط١ ، ٢٠٠٤، ص ٢٦٨ .

(٢) غالبريث (جون كينيث)، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠ ص ١٥٤ .

(٣) عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٣، ص ٨٣ .

الوسائل العملية التي يمكنها أن تحقق بها أهدافها لأنها تعتمد على فكرة العدالة والمساواة والإخاء العاطفي، أما الاشتراكية العلمية فإن ماركس يرى أنها مستمدة من طبيعة الأشياء ودراسة التاريخ وملاحظة الوقائع، وهي ثمرة نظام معين هو الرأسمالية^(١).

ويلحظ هؤلاء العلماء أن تسمية المنشور الذي أصدره ماركس وإنجلز في سنة ١٨٤٨م وختم

بالعبارة المشهورة " أيها العمال.. في جميع العالم.. اتحدوا" بالمنشور الشيوعي Manifeste

Comuniste خطأ لأنه يقول بالجماعية ، والنظام القائم بروسيا الآن ليس شيوعياً ولكنه اشتراكي

جمعي، فقد جاء لينين عندما استولى على الحكم سنة ١٩١٧م بخليط من الفوضوية والاشتراكية الماركسية

ثم تطور بعد ذلك إلى الشيوعية محاولاً تطبيقها منذ أكتوبر سنة ١٩١٧، ولكنه اضطر للعدول عنها في

سنة ١٩٢١م بإعادة طبقة صغار الملاك التي ألغيت مرة أخرى ١٩٢٦.٢٥م وأعيدت ثانية في أوائل عام

١٩٣٢م.

الماركسية : **Marxisme**

والماركسية هي الاشتراكية العلمية التي ابتدعها ماركس مضافاً إليها التصورات العملية التي إرتأها

أتباعه، فإن ماركس لم يذكر صراحة شيئاً عن تنظيم الهيئة الاجتماعية حسب نظريته، ولكن أنصاره

وصفوا تفصيل ذلك وهو :

أولاً : تقوم الدولة بالانتاج فتلغي الملكية الفردية وكل رؤوس الأموال تصبح ملكاً للمجموع الذي تمثله الدولة، أما أموال الاستهلاك فتظل ملكاً خاصاً للأفراد لأنها نتيجة العمل، وهذا - كما رأينا - يوافق الجماعة .

ثانياً : قيام الدولة بجميع المشاريع الزراعية أو الصناعية.

(١) بيليس (جون) و سميث (ستيف)، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٣-٢٩٢

ثالثاً : تحديد ثمن الأشياء بحسب ساعات العمل التي أنفقت في صنع السلع بمعنى أن سلعة تعتبر لأعلى من الأخرى لأن مقداراً أكبر من الوقت أنفق في صنعها^(١).

وأهم من ذلك نظريتهم في الوصول إلى الحكم فإنهم يرون أن الثورة، لا الإصلاح، هي الطريقة الصائبة الصحيحة.

وللأستاذ إسماعيل مظهر رسالة موجزة عن الاشتراكية بعنوان "عصر الاشتراكية" انتقد فيها تعريف الأستاذ السيد صبري الذي أوردناه في أول هذا الفصل ورأى أن الشيوعية لا يمكن أن تكون الجناح الأيسر للاشتراكية "إلا بكثير من التجوز الذي هو أقرب إلى الشذوذ عنه إلى الحالات السوية القائمة في مجتمعات هذا العصر"، وأحتج على صحة نظريته بأمرين :

أولاً : بعد "ديمقراطية بريطانيا الاشتراكية" عن شيوعية روسيا بعداً يجعل من العسر وجود أي نسب بين الاشتراكية والشيوعية.

والثاني : أن الاشتراكية نظام اقتصادي في دولة، أما الشيوعية فهي نظام اقتصادي ودولة.

ورغم تقديرنا لغزارة علم الأستاذ وتمكنه، والرسالة العلمية الكبيرة التي يؤديها في المجتمع المصري إلا أننا لا نوافق على رأيه وأغلب الظن أن شدة التدقيق في بعض النواحي قد أبعده عن ملاحظة اعتبارات جديدة بالعناية، فالنظر إلى الاشتراكية كإصلاح أو توجيه للنظام الرأسمالي فحسب مع عدم المساس

(١) د. عبد الحكيم الرفاعي بك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٤ .

بالوضع السياسي يجعلنا نتجاهل وراثته الأدوار التاريخية التي مرت بها الاشتراكية ويجردها من الأصول الأولى لها التي تحدت منها فلم تكن الاشتراكية أول أمرها نظامًا اقتصاديًا فحسب، ولكنها نهج في الحياة ومذهب خاص في المجتمع يتناول فيما يتناوله تنظيم الدولة وشكلها، وكذلك قرأنا "جمهورية أفلاطون" وأتوبيا الجديدة لتوماس مور، و"مدينة الشمس" لكامبلانا، و"قانون الطبيعة" للوللي، و"رحلة إلى إيكاريا" لكابيه، وآراء سان سيمون وفورييه وبلان وبرودون، وهي تتناول واجبات الدولة وشكلها بالتعديل والتنقيح، أما الماركسية والشيوعية فمدخلها صريح ونظامها شامل، فالاشتراكية في أخف صورها، تناولت فيما تناولته شكل الدولة وواجب الحكومة وعينت بالنظم السياسية، وذلك بديهي لأن الدولة عندها ممثلة المجموع، ولأنها على اختلافها تميل للعمل الجماعي، وتنفر من العمل الفردي، والاقتصاد بعد ذلك قريب الآصرة، وثيق الرابطة بالدولة ونظامها، فمن الظلم أن نقول إن الاشتراكية نظام اقتصادي لا علاقة له بشكل الدولة ولا تدخل له في شؤونها السياسية، لأن تنفيذ مناهجها يقتضي تغييرًا أساسيًا في شكل الحكومة، ولأنها تستوحي مثلها العليا، من المثل الأعلى الذي استوحته الديمقراطية، فمثل الاشتراكية الأعلى جماعي، ومثل الديمقراطية فردي^(١).

استلهمت الحضارة الأوروبية الغائية الإنسانية، فكان هدفها الأول، هو كما وضحه كانت "أن يكون الإنسان غاية في غاية"، وقد كانت الديمقراطية هي ثمرة هذا الهدف الأساسي، وقد عيّنت الديمقراطية بالحرية السياسية أولاً، وأهملت العدالة الاجتماعية لعدة أمور منها أن الناحية الاقتصادية لم تكن ق(ب)ت)ضخمت كما هي الآن، بعد التقدم الآلي والانقلاب الصناعي، ومنها أن الحرية الفكرية هي رمز بقية الحريات، وضمان المعارضة والثورة عند الظلم، ومنها أن الحكم وقتئذ كان للملوك وليس للشعوب، فكان همها الأول أن تكف أيدي هؤلاء عن ابتزاز الأموال، وسلب الثروات بطرق المصادرة والضرائب، وكان ذلك حسبها، وفيه كل الغناء وقتئذ بالنسبة لعهود الاستبداد والتحكم . فلما تأثل الحكم للشعب وتضخمت الناحية الاقتصادية كان من الضروري - بدون الحاجة إلى الاشتراكية - أن تعني الديمقراطية بهذه الناحية وأن تشملها، ولاسيما وأن الغائية الإنسانية تقتضي أن تكون النظم في خدمة الإنسان وأن تلين وتتطور حسب ظروفه، والإنسان اسم جنس تمثله الأمة حسب القواعد الديمقراطية، لذلك كان الإصلاح الاشتراكي المزعوم في إنجلترا إصلاحًا ديمقراطيًا حقيقيًا يستوحي المثل العليا للديمقراطية ويتأثر بوراثتها وتعاليمها، فهذا العصر هو صفحة جديدة من صفحات الديمقراطية.^(٢)

- (١) روبر شنيبر ، تاريخ حضارات العام ، عرّبه يوسف أسعد داغر ، بيروت ، (ب ت) ، ص ٢٩٠ .
- (٢) أحمد جمال الدين ، نقد النظرية الماركسية ، مصر - القاهرة ، دار الحكمة للطباعة و النشر ، ط ١ ، ١٩٤٨ ، ص ٨ .

المبحث الثاني

الاصول الاولى للنظرية الماركسية

"النظرية" في الماركسية تجميع لوقائع وحوادث ومراقبة مجرى الأحوال، واستدلال بمنطق الإحصائيات المادية، وليست فروضاً علمية قائمة بذاتها أو ابتداءً فكري خالص أو كيان مستقل عن البيئة، فهي في الحقيقة هدم للمعنى النظري في الكلمة، وهي تعوض هذا النقص في الإبداع الفكري بالتفوق في الناحية العملية والزعم بأن ما يحدث دائماً يطابق فكرتها، وليست لها في الحقيقة أن تفخر بذلك لأنها لم تفترض الواقع على أسسها، ولكنها أخذت أسسها من الواقع، فكان من البديهي أن تتطابق معه وحتى هذا لا يضطرد معها ولا يتأتى لها دائماً لأنها كثيراً ما تسئ فهم الواقع وتصويره، وبالتالي تستنتج نتائج خاطئة^(١).

ولو أننا آمننا بالنظرية الماركسية لكان يجب أن نبدأ بالكلام عن الحالة الواقعة في البلاد الشيوعية ومنها نستنتج النظرية نفسها، لأنها تفترض سبق المادة على الفكرة، واستلهاها من الواقع، ولكن لما كان الواقع نفسه قد كذب عملياً هذه الفكرة، لأن النظريات قد سبقت وفرضت إلى حد كبير نفسها على الواقع واستطاعت أن تنال منه بالتغيير والتبديل بدون أن تدين بذلك إلى غير ذهن واسع، وذكاء لامع، وبضعة

مئات من السطور، كذهن كارل ماركس، وذكائه، وكتابه، لما كان ذلك هو ما حدث فعلاً فإننا سنبدأ بتفسير الأصول الأولى للفلسفة الماركسية^(٢).

وتتوغل هذه الأصول في أقدم العصور، فإن العالم كان يعيش في حياته البدائية الأولى في الفردوس الذي يعدهنا إياه الشيوعيون "التقدميون" ! ففي هذا الوقت كانت الملكية مشاعة بين جميع أفراد القبيلة،

(١) عبد الحكيم الرفاعي بك ، سبق ذكره ، ص ٥٥ .

(٢) عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (المعاصرة)، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤ ، ص٣٨ .

وكانت هي المالكة الوحيدة للإنتاج والمسئولة عن عمل الفرد، فإذا كانت أقصى غايات الماركسية هو أن نرتد عصوراً إلى الوراء، فلسنا نعلم كيف يتسق ذلك مع قوانين التطور التقدمي التي تدعيها^(١).

والفلسفة الماركسية وليدة المذهب المادي الذي يرى أن المادة في كافة صورها هي المؤثرة والسابقة والوجود الحقيقي الذي يطبع المجتمع بطابعه، ويسم الأفكار والعقائد بسمته وإن لها - وليس للمعنويات - القدح المعلي في مصائر الأمم والشعوب^(٢).

هذه هي الفكرة الأساسية في المذهب المادي، وقال قال بها في العصر القديم الفيلسوف اليوناني هيرقليطس (٥٤٠ - ٤٧٥ ق.م)، وليوسيبس (٥٠٠ - ٤٣٠ ق.م) الذي وضع النظرية الذرية، وإن كانت تنسب عادة إلى تلميذه ديمقريطس (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) الذي يلقب "بأبي الفيزيقا"، ويقرر ديمقريطس أن الحقائق المطلقة هي الذرات والفضاء، وإن الذرات هي "حروف الهجاء" للكون، وليست هذه الذرات ساكنة، بل هي متحركة هائمة من تلقاء نفسها تشبك بعضها ببعض فتكون الأجسام، حتى إذا تهيأت الظروف اصطدمت وتفتت، وهكذا دواليك، أي أن النظرية الذرية القديمة وضعت تفسيراً ميكانيكياً محضاً للكون قائماً على أساس المادة والحركة، ثم تقدمت بها الاكتشافات العلمية، والنهضة الفكرية التي تلت عهد النهضة فنأدى بها فرنسيس بيكون (١٧٦١ - ١٥٢٦)، وهوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) الذي حاول أن يطبق على عالم الحقيقة نوعاً من التفسير الميكانيكي كالذي استحدثه غاليليو وديكارت في الظواهر الطبيعية فقط، وذلك اضطره إلى القول بأن المادة والحركة هما وحدهما الحقيقيتين المطلقتين وأن المعرفة الإنسانية تأتي عن طريق الإحساس وكل الإحساسات تنشأ عن ضغط المادة على الحواس، والعقل

أو النفس في ذاته مادة، وقد أيده في ذلك أحد مواطنيه تولاند (١٦٧٠ - ١٧٢١) فأكد "أن المادة ليست ذلك الشيء الخامد الذي صوره لنا ديكارت، بل هو مادة فعالة أو هي قوة، المادة هي القوة

(١) الأستاذ عباس محمود العقار، مقالة بعنوان "في بيتي"، من مجلة الاثنين، العدد ٦٣٣، ٢٩ يوليو سنة ١٩٤٦م.

(٢) عصام الدين حنفي ناصف، مقالة بعنوان "موسكو، برلين، لندن"، ص ٣، ٤.

والحركة والحياة والفعل بعض خواصها، والتفكير هو وظيفة العقل كما أن الذوق وظيفة اللسان"، وكذلك اعتنق هارتلي (١٧٠٤-١٧٥٧) الفلسفة المادية وحاول أن يرد علم النفس إلى علم وظائف الأعضاء "الفسولوجيا"، وربما كان بريستلي (١٧٣٣-١٨٠٤) أعظم فيلسوف مادي بريطاني في القرن الثامن عشر، وقد عدد أسباباً كثيرة جدية بالثناء تأييداً للمادية (وبعضها بالفعل مقتبس من الكتب المقدسة) وحاج قومه بأنه لا يمكن فهم الفكرة المسيحية التي تقدر أن الله في كل مكان إلا إذا افترضنا الله وجوداً مادياً، وفي فرنسا قويت المادية بفضل ديكارت من غير أن يقصد هو إلى ذلك فقد كان ديكارت مؤمناً أثنيئياً، وكان في الواقع من الكاثوليك الأرثوذكس، ولكن اعتباره الحيوانات مجرد آلات وتفسيره كيف أن الأعضاء يمكن تحريكها بمؤثر حسي من غير تدخل الروح، كل ذلك أدى بلاماتري وآخرين إلى أن يستغنوا عن الأرواح بتاتاً ويفسروا الأشياء كلها تفسيراً ميكانيكياً، فقد أكد لا ماتري (١٧٠٩-١٧٥١) أن الإنسان ليس كائناً ممتازاً، وإنه لا فروق جوهرية بين النباتات والحيوانات وبني الإنسان، فكلها خاضعة لقوانين واحدة وهي تمثل أدواراً مختلفة في عملية النشوء والارتقاء، ومن الفلاسفة الماديين الفرنسيين أيضاً : ديدرو (١٧٣١-١٨٤٨)، وهلفيتيوس (١٧١٥-١٧٧١)، ودالامبير (١٧١٨-١٧٨٣)، ودولباخ (١٧٢٣-١٧٨٩)، وكاباني (١٧٥٧-١٨٠١) ولكاباني ترجع بعض العبارات المادية الشائعة مثل

"الجسم والروح شيء واحد"، "الإنسان ليس إلا مجموعة أعصاب"، "العقل يفرض التفكير كما تفرض الكبد الصفراء"، "وكل الأشياء حتى ما يسمى بالظواهر العقلية والخلقية تتبع قوانين المادة وخصائصها"، وكان علم القوى العقلية (الفرنولوجيا) وليد هذا النوع من المذهب المادي^(١).

(١) رشاد غنيم ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨، ص٧٣.

أصول الديالكتيك

هي تلك النظرية التي تقر بأن المادة هي كل الوجود، وان مظاهر الوجود على اختلافها ما هي إلا نتيجة تطور متصل للقوى المادية، وان ما هو عقلي يتطور عما هو مادي ولا بد أن يفسر على أساس طبيعي و أول من وضع مبادئ المادية الجدلية، هو الفيلسوف الألماني الجنسية كارل ماركس الذي أسسها مع صديق عمره فريدريك أنجلز ١٨٢٠ - ١٨٩٥، ولكن الذي دعى إليها ونشرها هو لينين ١٨٧٠ - ١٩٣٤، ويطلق على هذه الفلسفة اسم المادية الجدلية، لق(ب ت)أثر ماركس بالفلسفة الألمانية المادية التي كانت سائدة في عصره، فأخذ عن (هيجل) الجدل حيث يكمن محور الديالكتيك الهيجلي في أن المتناقضات تنشأ في العقل الجمعي أولاً ثم تنعكس على أرض الواقع لكن هذه الجدلية لم تعجب ماركس و أنجلز، و قال بأن المذهب الهيجلي يمشي على رأسه و لا بد أن يعاد إلى توازنه و يمشي على قدميه و أخذ ماركس و أنجلز من الديالكتيك الهيجلي نواته المعقولة نابذين قشرته المثالية وطورها ابعده من ذلك لكي يضيفوا عليها شكلا علميا.^(١)

حركة التطور

نظرية التطور الديالكتيكي:

إن أهم مميزات المادية الديالكتيكية أو "الماركسية" لا تكمن بالاعتراف بمادية العالم فقط، ولكن بالاعتراف أيضًا بأن المادة والطبيعة، توجدان، دائمًا، في حركة أبدية مقنونة وفي تبدل وتحول وتطور مستمرين. إن قوانين العالم الموضوعية هي قوانين الحركة والتطور، لا يمكن فهم الأشياء والظواهر فهمًا صحيحًا، ولا تفسيرها تفسيرًا صائبًا، إلا إذا درست في سير عملية نشوئها وتطورها. وقد أبان العلم،

(١) محسن الموسوي ، القرن الواحد والعشرين والبحث عن الهوية ، بيروت-لبنان ، دار الهادي،، ١٩٩١، ص٥٣ .

شيئًا فشيئًا، وفي ميدان بعد آخر من ميادين الواقع .. تطور العالم المحيط بنا، وفي نهاية القرن التاسع عشر أخذت فكرة التطور تنتشر انتشارًا واسعًا، وتنال اعترافًا شاملاً.^(١)

نظرية الارتقاء والتطور لهما بعدان في المفهوم الماركسي: النظرية الأولى ميتافيزيقية لأن الحركة والتطور في نظرها، لا يؤديان إلى القضاء على القديم وإبادته، وإلى ولادة الجديد .. إنها تنفي التناقضات الداخلية في الظواهر والأشياء .. وصراع المتناقضات كمصدر للتطور .. وهذه النظرية تفهم التطور على أنه مجرد كمية تدريجية تنساب بيسر، نافية القفزات النوعية التي تحدث في درجة معينة من التطور. وأما النظرية الثانية: فهي النظرية الديالكتيكية، "العلمية" الوحيدة لأنها تفهم التطور فهمًا متلائمًا مع الواقع القائم موضوعيًا، تفهمه على أنه حلول الجديد محل القديم، على أنه موت لقديم ونشوء لجديد. وهي تكشف التناقضات الداخلية التي تحدث في الأشياء المتبدلة، وترى في حل هذه التناقضات وتطورها القوة الرئيسية المحركة للتطور..^(٢)

ويشرح ذلك لينين بقوله: "هناك مفهومان أساسيان للتطور (الارتقاء) التطور كنتقليل وإكثار وتكرار .. والتطرق كوحدة المتناقضات (إزدواجية الشيء الواحد لوجود التناقضات التي ينفي أحدها الآخر، والعلاقة المتبادلة بينهما). في المفهوم الأول للحركة، تبقى الحركة ذاتها، والقوة الدافعة لها، ومصدرها، وسببها تبقى

أشياء غامضة (أو أن هذا المصدر الباعث لها ينقل إلى الخارج ليرتبط بما وراء الطبيعة أو الذات أو غير ذلك). أما في المفهوم الثاني فيوجه الانتباه الأول إلى معرفة مصدر الحركة "ذاتها"، المفهوم الأول ميت، فقير، "جاف"، أما الثاني فيحوي هذا المفهوم وحده وهو الذي يعطي مفتاح السر (القفزات) و"توقف التدرج" و"التحول إلى الشيء المضاد" و"القضاء على القديم ونشوء الجديد". ولينين هنا يفرق مبدئيًا

(١) B. Russel. A History of Western Philosophy, N.Y. 1945, p. XIII,p178

(٢) المصدر نفسه ، ص١٧٩ .

وجذرًا بين التصورات المتافيزيقية الارتقائية العامية، وبين النظرية الديالكتيكية الماركسية، عن التطور. وعندما يذهب الديالكتيك إلى إظهار التطور كاستبدال مقنون للجديد بالقديم، إنما يكتسب بهذا، أهمية ثورية عظيمة.^(١)

وقوانين الديالكتيك ومقولاته - في نظر الماركسية - لم تختراع اختراعًا، بل استخلصت من الطبيعة والحياة الاجتماعية، إنها تعكس القوانين الموضوعية القائمة بشكل مستقل عن وعي الإنسان. ولهذا السبب بالذات يقدم لنا الديالكتيك الماركسي إمكانية التغلغل في كشف عمليات تطور الكائنات والمعرفة، وفهم هذه العمليات المعقدة العديدة الوجوه ... ولهذا نجد أن الطبقات المستمرة في الدفاع عن القديم لا تتقبل روح الديالكتيك الماركسي الثورية. ويعتبر نفي الطابع الموضوعي للديالكتيك، إحدى وسائل نضال خصوم الماركسية .. ولهذا نجد أن المثاليين يعارضون قوانين الوجود بقوانين التفكير. ولكن بما أن قوانين الديالكتيك وهي في الواقع، قوانين الوجود الموضوعي، فهي بهذا تعتبر قوانين الديالكتيك الذاتي آلة للمعرفة والتفكير.^(٢)

قفزات التطور

لقد أكد كل من ماركس وأنجلس أن ديالكتيك هيغل كان أوسع مذهب من مذاهب التطور وأوفرها مضمونًا، وأشدّها عمقًا، وأثمن اكتساب حقيقته الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ... إننا كلينا، ماركس وأنا، كنا وحدنا تقريبًا، اللذين عملا لإنقاذ الديالكتيك الواعي (من المثالية بما فيها الهيغيلية

نفسها) وذلك بإدخاله في المفهوم المادي عن الطبيعة .. إن الطبيعة هي محك الاختبار للديالكتيك، ويجب القول بأن العلوم الطبيعية الحديثة بالضبط، قد قدمت لهذا الاختيار مواد غنية إلى أقصى حدود الغنى... وهذه الموا(ب ت)زداد كل يوم، وهكذا أثبتت هذه العلوم، أن الطبيعة تعمل، في نهاية المطاف على نحو دياالكتيكي لا على نحو ميتافيزيقي... ويضيف أنجلز: أن

(١) محمد سعيد ريان ، دروب الاشتراكية، ورقة جامعية ، جامعة حيفا ، ١٩٧٣، ص ٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٦-٧.

العالم لا يتألف من أشياء تامة الصنع، بل هي مجموعة من العمليات يطرأ فيها على الأشياء التي تبدوا في الظاهر ثابتة، وكذلك على انعكاساتها الذهنية في دماغنا، أي الأفكار، في تغير مستمر من الصيرورة والفناء. إن هذه الفكرة الأساسية الكبرى، قد نفذت على نحو عميق منذ هيغل في الإدراك العام، حتى أنه يكاد لا يوجد من يعارضها في شكلها العام هذا .. ويظل الاعتراف بهذه الفكرة كلامًا، شيء، وتطبيقها في الواقع، في كل حال من الأحوال، وفي كل ميدان من ميادين البحث، شيء آخر .. ليس هناك من أمر نهائي مطلق، مقدس أمام الفلسفة الديالكتيكية. فهي ترى أن على كل شيء، وفي كل شيء خاتم الهلاك المحتوم، وليس ثمة شيء قادر على الصمود في وجهها غير الحركة التي لا تنقطع، حركة الصيرورة والفناء، حركة التصاعد أبدًا دون توقف من الأدنى إلى الأعلى. وهذه الفلسفة، ليست إلا مجرد انعكاس هذه الحركة في الدماغ المفكر .. وهكذا فإن الديالكتيك في نظر ماركس، يصبح علم القوانين العام للحركة. سواءً أفي العالم الخارجي أم في الفكر البشري.^(١)

(١) محمد سعيد ريان ، مصدر سبق ذكره ، ص٧.

المبحث الثالث

النظرية الاقتصادية و الاجتماعية الماركسية

اولاً : النظرية الاقتصادية

يلجأ علماء الاقتصاد السياسي عندما تأخذهم الحيرة في تعريف الاشتراكية وتعدد مذاهبها إلى قاعدة عامة هي أن الاشتراكية هي المذاهب المتنوعة التي تتميز بخاصيتين هما تقرير المساواة العملية بين الناس وعداوة الملكية الفردية، وكان بإمكانهم أيضاً أن يقولوا إن الصفة العامة الغالبة على كل المذاهب الاشتراكية هي كما يفهم من دلالة الاسم نفسه "الجماعية" التي هي نقيض الفردية.

والاشتراكيون جميعاً على اختلافهم يؤمنون بأن العمل الجماعي خير من العمل الفردي، وأن مصلحة الجماعة خير من مصلحة الفرد، وأن النظام ألزم من الحرية، وأن الصفة العامة تغلب الصفة الخاصة، وهو ميل يتلاءم مع مطلبهم في المساواة، وعداوتهم للملكية - ثمرة الفردية - ويتسق مع فلسفتهم الطبيعية التي تحرم الفرد من الإرادة وتأبه للجنس فحسب، وليس الفرد.

ويظهر أن الماركسيين لا يؤمنون بهذا الكلام لأنهم جعلوا الوحدة الإنسانية الطبقة وليس الفرد وتعدوا في سبيل ذلك الفرد والأسرة والمدينة والوطن وهي الوحدات التي تسبق الطبقة، كما ابتدعوا نظرياتهم في المساواة والملكية.^(١)

وهناك عدة آراء في المساواة منها المساواة الشيوعية ومبدؤها "من كل شخص بحسب قوته ولكل بحسب حاجاته" *de chacun ses forces, à chacun selon ses besoin*، أي أن يعمل كل شخص بحسب قوته ويأخذ حسب حاجاته، وهو رأي خيالي، لأنه لن يمكن تقدير جهد كل فرد وحاجته ولو أمكن ذلك وطبق فإن نصيب الأقوياء في العمل والحاجة سيزيد، فلن تكون هناك مساواة ،

(١) موريس كورمفورت ، الفلسفة الاشتراكية ، ترجمة عيد الجبار عوض ، بغداد ، دار الكتب و الوثائق الوطنية ، ١٩١٦ ، ص٣.

فإذا زاد في العمل فحسب وسوى في الحاجة بالباقيين ففي ذلك ظلم لهم فهو على أحسن الفروض - ولو أمكن التنفيذ - يحقق العدالة لا المساواة.^(١)

وهناك رأي آخر شعاره "كل شخص يعمل نفس العمل يحصل على نفس التمتع" *de echacun le même travail, à chacun la même jouissance*، أي أن يعمل الناس وتقدر حاجاتهم بنسبة واحدة هي متوسط الاثنين (العمل - الحاجة)، وهو أساس باطل لأن طبائع الناس تختلف وقواهم تزيد وتنقص، فلن يؤدي الضعيف نفس العمل، ولن يقنع القوي به، وكذلك حاجات الناس ، وآخر الآراء في المساواة هو المساواة في وسائل الإنتاج وأصحاب هذا الرأي يرون أن تملك بعض الأفراد لوسائل الإنتاج هو سبب عدم المساواة، فلا بد أن تتحقق المساواة في الإنتاج إذا أريد المساواة الفعلية بين الناس، وهم يقترحون لذلك ثلاثة حلول :

أولها : هو تقسيم كل وسائل الإنتاج على الأفراد بنسبة متساوية، ويعترض على هذا الحل بأنه ليس اشتراكياً بالمعنى الدقيق لأنه سيترتب على تقسيم رؤوس الأموال أن يكون كل فرد مالكا، والاشتراكية

تحارب الملكية، كما يعترض بأنه لن يمكن فيه مراعاة المساواة فإن بعض الناس سيأخذون قطعة أرض بينما يأخذ الآخرون جزءًا من آلة، وحتى لو نفذ فلن تستمر هذه المساواة طويلاً لأن بعض الأراضي أكثر خصبًا من غيرها، وبعض الصناعات أكثر إنتاجًا من البعض الآخر، كما أن بعض الناس أعظم مقدرة وأكثرهم همة.^(٢)

ويتلخص الحل الثاني في جعل وسائل الإنتاج ملكاً لمن يستغلها أو يعمل بها فتكون الأرض للفلاحين، والمصانع للعمال، والمناجم للمعدنيين على أن تكون الملكية فردية

(١) موريس كورمفورت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣ .

(٢) د. محمد سعيد رمضان البوطي ، نقض اوهام المادية الجدلية ، دمشق ، دار الفكر ، ط ١ ، ٢٠٠٧، ص ١٠٧ .

فيما يمكن استغلاله فردياً ومشاعة في الموارد التي لا يمكن استغلالها إلا بواسطة عدة أفراد والاعتراضات السابقة تثار هنا أيضاً.

أما الحل الثالث فيرى أصحابه إلغاء الملكية الفردية والملكية المشاعة ولا يبقى إلا نوع واحد منها هو الملكية الجماعية collective فتؤول كل رؤوس الأموال إلى الدولة التي توزع على كل شخص بحسب عمله a chacun selon son travail ، أي أن ساعات العمل هي التي تحدد الأجر الذي يتقاضاه العمال في نظام الجماعة وهذه النقطة هي أهم ما يثار بحق - على هذا الحل - لأنه لن يمكن تقدير هذا العمل الذي قد يأتي عفواً كما قد لا يتحقق في ساعات طويلة، لأن الجهد الذهني عمل أيضاً.^(١)

وبالنسبة للملكية فإننا نجد أمامنا عدة آراء منها إلغاء جميع أنواع الملكية وهو مذهب الفوضويين Anarchistse ، ففي النظام الشيوعي تلغى الملكة بجميع أنواعها "بالنسبة لأموال الإنتاج والاستهلاك" ، أما الفوضوية Anarchisme ou doctrine libertaire ، فتضيف على ذلك

إلغاء الدين والدولة Ni dieu Ni maitre لأنهم يرون أن طاعة الإنسان لغيره فيها تنازل عن الكرامة ويقولون إن كل سلطة وسيلة إلى الاستغلال والدولة عندهم تؤدي إلى التعقيد فلا ضرورة لوجود قوانين أو بوليس أو عقوبة، فليس لأحد حق الإكراه على شخص آخر والمرشد الأعظم للناس هو العلم والعقل La raison et la science وهذا المذهب ظاهر البطلان والخطأ، فهو يسئ فهم معنى الحرية إذ المسلم به أنه يجب أن يتنازل كل شخص عن جزء من حريته للاحتفاظ بالجزء الباقي.^(٢)

ومن هذه الآراء الجماعية Collectivisme، أي الاحتفاظ بالملكية الخاصة لأموال الاستهلاك

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٨ .

(٢) د. عبد الحكيم الرفاعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥ .

المعدة لإشباع حاجات الإنسان مباشرة وقصر ملكية وسائل الإنتاج كالأرض والمناجم والسكك الحديدية على الدولة بصفتها ممثلة الهيئة الاجتماعية ويعاب عليه أن الناس يستبدلون فيه الاستغلال الرأسمالي بالإهمال البيروقراطي الحكومي، وهو أمر مشهود في كل حكومات العالم، فطبيعة العمل الحكومي تقضي عليه بأن يكون أكثر بطئاً وتبذيراً من العمل التجاري، ولعل الاستغلال الرأسمالي أرحم من الاستبداد الحكومي، لأن الأول يخلق الروح المناوئة له ويثير روح المقاومة بشكل مشروع ثم هو متفرق هنا وهناك، والدولة تستطيع أن تصلح فسادها بالقوانين، كما يمكن للعمال أنفسهم بفضل اتحاداتهم الحد منه، أما استبداد الدولة فإنه محيط شامل، وإهمالها عام، ولا يمكن الإصلاح إلا بثورة، والأمر بعد ذلك موكول إلى الطبيعة البشرية التي لا تستطيع أمامها القوانين الصماء شيئاً والطبيعة البشرية واحدة في الرأسماليين والحكوميين وكل أنواع الناس.^(١)

ثانياً : النظرية الاجتماعية

من النظريات الاجتماعية التي يعطيها الماركسيون أهمية كبرى نظرية "صراع الطبقات" ولو صحت لكانت جديرة بما لأنها ثمرة تطبيق الجدلية المادية على المجتمع، وخلاصتها أننا نجد في المجتمع كما نرى في الطبيعة الصراع بين الناس، ويأخذ هذا الصراع شكلاً طبقياً مادياً، فهو دائماً بين طبقتين متعارضتين أحدهما قليلة العدد عظيمة الثروة، والأخرى كثيرة العدد ضئيلة الثروة، وأن هذا عرف في كل الأدوار التاريخية، ففي المجتمع اليوناني كان هناك طبقة الأحرار الأسياد، وطبقة العبيد الرقيق، وفي المجتمع الروماني كان هناك طبقة الأشراف Patricain وطبقة العامة Plebien كما وجد في القرون الوسطى أصحاب الإقطاعيات ورقيق الأرض، وفي العصر الحديث يتكون المجتمع من الرأسماليين والعمال، ويرى ماركس أن النزاع دائم بين كل طبقة والأخرى وأن النصر دائماً للطبقة الكثيرة العدد الضئيلة الثروة، وإن المستقبل بناء على ذلك سيظهر طبقة العمال على الرأسماليين ولما كان هذا الصراع استجابة لقانون

(١) عبد الحكيم الرفاعي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٨ .

تطور قاسي عام ينتقل بنوبة مفاجئة من الكمي إلى النوعي، فمن الطبيعي أن يأخذ شكلاً حاداً لا هوادة فيه، وينتهي بالثورة.

ويصور ستالين هذه النقطة في رسالته عن المادية الجدلية تصويراً واضحاً فيقول "إذا كان تحول التغييرات الكمية البطيئة إلى تغييرات نوعية سريعة مفاجئة أحد قوانين التطور، إذن فمن الواضح أن الثورات التي تقوم بها الطبقات المقهورة هي ظاهرة طبيعية جداً لا يمكن تلافيها، فالانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وتحرير الطبقة العاملة من نير الرأسمالية لا يمكن تحقيقه بتغييرات بطيئة وإصلاحات، بل بتغييرات نوعية في النظام الرأسمالي، بالثورة فقط، ولكي لا يتخبط المرء في سياسته يجب أن يكون ثورياً لا إصلاحياً، وعليه أن يتبع سياسة طبقية بروتيتارية لا تسامح فيها لا سياسة إصلاحية ولا سياسة تنسيق بين مصالح البروليتارية ومصالح البرجوازية ولا سياسة مساوم يسعى إلى تدرج الرأسمالية نحو الاشتراكية."^(١)

وق(ب ت) نبأ ماركس بناء على عدة نظريات، مضافاً إليها نظرية صراع الطبقات بأن شقة الخلاف ستوسع بين العمال المستغلين وبين الرأسماليين الجشعين، إذ بينما يزداد هؤلاء فقراً يزداد أولئك

غنى كما ستضطر المشاريع الصغيرة إلى الإفلاس والاختفاء وتحتفي معهم الطبقة الوسطى (البرجوازية) فلا يبقى إلا البلوريتاريا، والرأسمالية وجهًا لوجه.

ولكن هذه التنبؤات لم تصدق، إذ أنقذت الشركات المساهمة الاقتصاد الحر من هذا المصير، فانتشرت ودعمت الطبقة الوسطى وعظم أمرها حتى وصفها أحد الكتاب "لروا بوليو" بأنها "ملكة العالم، ووارثة الأرستقراطية والنظام الإقطاعي القديم، وسيكون العالم في قبضتها، والساعة التي يقسم فيها إلى أسهم قد دنت"، فرأس المال ينتشر بدلاً من أن يتركز حتى يصير كل واحد مالكاً لجزء من رأس المال العام وبذلك يتحقق الحلم الاشتراكي، ولكن بطريقة وصورة تخالف طرائق وتصور الاشتراكيين.

(١) الاستاذ جعفر الهادي ، دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية ، قم ، مركز ديريت، (ب ت)، ص ٢٧ .

الماركسية عند التنفيذ

التفرقة بين الطبيعة النظرية والطبيعة العملية تفرقة أصيلة تعود إلى الاختلاف بين أداة النظر وأداة العمل، أي بين العين واليد، وقد أدرك هذا الفرق الحكيم الشعبي الذي صدر عنه المثل المشهور "العين بصيرة واليد قصيرة"، فإن اليد قصيرة دائماً عاجزة عن أن تبلغ مدى الرؤية أو تلاحق الأبعاد التي تدركها العين، ومن هذا الفرق تتباين الطبيعة النظرية عن الطبيعة العملية، و يرى بعض المفكرون و الكتاب " أن الي(ب ت)مثل التفكير العملي بينما العين تمثل التفكير النظري، فهناك إذن نوعان من التفكير، تفكير اليد، وتفكير العين، الأول عملي فعال، والثاني نظري تأملي، أحدهما يسير تبعاً لمبدأي الوسيلة والغاية، والآخر تبعاً لقانون "العلية"، واليد في تفكيرها تصل إلى وقائع، وأما العين فإلى حقائق، والتفكير الأول يمثله السياسي والبطل ورجل الأعمال، والثاني يمثله رجل الدين والقديس والعالم".^(١)

فالتعارض أصيل، وليس كل ما ينتهي إليه الفكر من الحقائق يمكن أن ينفذ وأن يصير "واقع" حتى ولو كان صحيحًا، لأن الوقائع ميدان تحرسه قوى أخرى غير قوى الفكر، ولا تدخله إلا من تسمح له بالولوج، فتنفيذ فكرة ما رهن بإمكانيات عملية وصحتها - نظريًا - لا تكفي لتنفيذها، وأي محاولة لتنفيذ فكرة غير عملية جهد ضائع، ولولا ذلك لتحققت من عهد بعيد أماني المصلحين وآمال الفلاسفة والأنبياء.

يضاف إلى ذلك أن التنفيذ العملي للمبادئ بالذات له مزالقه الخطرة والتوائاته العجيبة، فالمبادئ لا تتحقق إلا بالرجال، وسمو المبدأ، وقوته كلها خاضعة لطبيعة الرجال الذين يقومون عليه، ولم تمنح المبادئ قوة الحياة التي تجعلها تدفع الميل بها

(١) عقيل صادق زعلان ، نقد الفلسفة المعاصرة عند السيد محمد باقر الصدر (دراسة تحليلية) ، رسالة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧ ، ص ١٣٢ .

أو تغييرها وتمكنها من الثورة على الضعف البشري، ولو تم لها ذلك ما أشار إليه ستالين في رسالته عن المادية الجدلية من ضرورة عدم الاعتماد على «نيات عظماء الرجال الحسنة»، أما والحالة على ما هي عليه فإن هذه الإشارة تعني الاعتماد على النيات السيئة للرجال، لأن الاعتماد على الرجال أمر لا مفر منه في جميع الحالات فإذا استبعدنا النيات الحسنة لم يبق أمامنا إلا النيات السيئة.

ولا تجد كالمبادئ مادة يتعدد فهمها وتباين معرفتها وتؤثر عليها طبائع الأشخاص واختلاف الزمان والمكان، لأن هذه المبادئ ليست قواعد حسابية أو هندسية يمكن إدراك الخطأ فيها، ولقد بدأت الدعوات الدينية دائمًا بقديسين وصديقين وانتهت بدجاجلة وأدعياء، وذلك ما يقال أيضًا على أية دعوة أخرى في الفلسفة والآداب أو العلوم والفنون، لأن القوة المنشئة المبتكرة الأصلية سرعان ما تخبو نارها وتجمد على وضعها القديم بينما يتطور العالم، وتنقسم الجماهير إزاء ذلك إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قسم المحافظين الجامدين المؤمنين بالفكرة في شكلها الأول لا يقبلون لها تغييرًا ولا تعديلاً ولا يسيغون تطورًا أو تقدمًا.

والثاني : طبقة وسطى تتظاهر بالجمع بين المبدأ والتطور، ولكنها في الحقيقة تسبغ مظاهر المبدأ أو علاماته على قوانين التطور والأوضاع الجديدة وينشأ من ذلك أن يكون المبدأ واحد ولكنه في زمان ما ومكان معين غيره في زمان آخر ومكان لآخر، فالإسلام في الجزيرة العربية وعند بدء ظهوره غيره في إيران في القرن الخامس أو العاشر، والاشتراكية الإنجليزية غير الاشتراكية الفرنسية، وهما في هذا العصر غيرهما في العصر الماضي، فمع أن الاسم واحد إلا أن الإسلام تأثر في العرب بالطبيعة العربية، وتأثر في فارس بالخصائص العريقة في الأمة الفارسية، وكذلك سيطر الخلق القومي الإنجليزي على الاشتراكية الإنجليزية بقدر ما سيطر المزاج الفرنسي عليها في فرنسا.

والثالث : يتكون من الذين يجحدون هذه المبادئ بمجرد جمودها مسايرتها التطور فيؤمنون إيماناً جديداً بمبادئ جديدة ويصارحون المبادئ القديمة بالعداوة، فهم رواد مبدأ جديد لا يلبث أن يجمد ويأخذ دوره كالقديم الأول.^(١)

(١) عقيل صادق زعلان ، مصدر سبق ذكره ، ١٣٣-١٣٤ .

المبحث الرابع

النظريات الماركسية التقليدية

١- كارل ماركس والتنظير العلاقات الدولية

تقوم تحليلات كارل ماركس حول الرأسمالية على مجموعة من المقولات الفلسفية العامة، تتمحور أغلبها حول نظريته للتاريخ الاجتماعي، حيث يرى أن هذا التاريخ لا يتعدى كونه حركة مستمرة وفي اتجاه واحد لتحقيق مزيد من التقدم والانعقاد الإنساني، وأن أي تحول اجتماعي في التاريخ إنما يتم من خلال آليات الصراعات الطبقيّة داخل المجتمع. خلاصة هذا التصور هي مقولته الشهيرة في "البيان الشيوعي": "إن تاريخ المجتمعات حتى الآن ليس سوى تاريخ صراع الطبقات". كما بين ماركس أن طبيعة العلاقات الاجتماعية (العلاقات بين الطبقات) تؤثر بشكل مباشر على طبيعة قوى الإنتاج في المجتمع.

تاريخيا، لم يتسن لكارل ماركس أن يسقط منطق الجدلي على دراسة المجتمعات غير الأوروبية، والوصول - من ثم - إلى الكشف عن أبعاد التوسع الرأسمالي على المستوى العالمي. وبذلك فقد كان من اللازم انتظار إسهامات فلاديمير لينين الذي ارتبط تفكيره بماركس، حيث أصبحت الماركسية-اللينينية leninist-marxism تطلق على الاتجاه الفلسفي الذي تبناه الحزب الشيوعي الحاكم في الاتحاد السوفيتي لعقود متعاقبة.^(١)

٢- مدرسة التبعية (التيارات التقليدية)

تمثل نظرية التبعية قطيعة مع الافتراض (الذي دافع عنه ماركس، لينين وصولا إلى الشيوعيين المتشددين في أمريكا اللاتينية) القائل بأن الرأسمالية/الإمبريالية تؤدي إلى التصنيع الرأسمالي في الدول المتخلفة. فماركس كان يعتقد أن القوانين الداخلية تدفع بالرأسمالية إلى الانتشار المستمر على الصعيد العالمي، وفي إطار توسعها خارج أوروبا ستصطدم بالمجتمعات غير الأوروبية وتؤثر عليها إيجابيا، من خلال دورها التاريخي والثوري في القضاء على أنماط الانتاج التقليدية المختلفة .

(١) عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، الاسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٣، ص ٩١

غير أن ما حدث تاريخيا هو أن الرأسمالية عند احتكاكها بالمجتمعات المتخلفة لم تقم كما توقع ماركس بتحطيم بنية الإنتاج التقليدية، وإنما عملت على ترسيخها وتحالفت مع قوى الإقطاع لخدمة أهداف الرأسمالية العالمية في امتصاص فوائض القيمة من المجتمعات المتخلفة إلى دول المركز. ويعتبر الاقتصادي الأمريكي Paul Baran [من الرواد الذين انتبهوا إلى كون] الرأسمالية الاحتكارية في أواسط القرن العشرين لم تع(ب ت) قوم بأي دور تقدمي، وبدلا من ذلك فقد قامت بإعاقة التصنيع في بقية العالم غير الرأسمالي، وذلك في سبيل المحافظة على الأرباح الاحتكارية في المركز الرأسمالي.^(١)

النظريات والمقتربات الماركسية الجديدة (البنوية)

١- مدرسة التبعية (التيارات الجديدة)

تتهم التيارات البنيوية الجديدة ضمن مدرسة التبعية البنيويين التقليديين بأنهم إصلاحيون، لأن سياسات تصنيع إحلال الواردات تم تصميمها لتحسين موقع دول الجنوب ضمن اقتصاد العالم الرأسمالي، وع كونهم (البنيويين التقليديين) يطمحون إلى القضاء على النظام الرأسمالي العالمي، فقد جادلوا بأن هذا الأمر لا يمكن حدوثه إلا بع(ب ت) تطوير قوى الإنتاج في الأطراف بشكل كاف، لذلك شهدت أمريكا اللاتينية تدعيم الشيوعيات التقليدية للبرجوازية المحلية، وذلك لاعتقادهم بأن الثورة الاشتراكية لا تنجح بمعزل عن الثورة البرجوازية. أما بالنسبة للبنيويين الجدد فكانت جميع أجزاء الاقتصاد العالمي قد أصبحت رأسمالية بسبب إنتاجها للسوق الرأسمالية، وعليه فقد قاوموا الشيوعية الرسمية وقدموا بدلا من ذلك ولاءهم لحركات العصابات الريفية المتمردة، وكان الهدف هو قطع سلسلة الاستغلال التي ربطت سوية

(١) براون كريس ، فهم العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢١٦ .

كلا من الميترولوجيات في المركز والأطراف التابعة في النظام الرأسمالي العالمي، وهم يعتقدون أن نظام التجارة العالمي يعمل على نقل الموارد من الفقراء في الأطراف إلى الأغنياء من المركز وليست هناك إمكانية لإصلاح هذا النظام لفائدة دول الأطراف^(١).

التحول الآخر - والأهم من الناحية الأنطولوجية - هو أن تفكير البنيويين التقليديين كان دولتيا statist/étatique في الأساس، وعليه فقد ندد البنيويون الجدد بهذا التفكير، واحتجوا بكونه يعمل على إخفاء الصورة الصحيحة للاقتصاد السياسي [الدولي] الذي لا يعتبر في نهاية المطاف خاصا بالدول، وإنما بالطبقات، فالرأسماليون في كل مكان [في كل دولة] يستغلون العمال أينما وجدوا، وما الرأسماليون في الأطراف إلى شركاء صغار لأمثالهم في المركز^(٢)

النظرية الغرامشوية gramscianism

نناقش في هذا المبحث الإسهام الذي أدلى به الكاتب الإيطالي (1891- Antonio Gramsci (1937) في كتابه Prison Notebooks، والذي أصبح ذا تأثير كبير على أدبيات الاقتصاد السياسي الدولي، حيث ظهرت ونمت ما يعرف بالنظرية الغرامشوية الجديدة Neogramscianism أو ما يعرف بالمدرسة الإيطالية Italian school.

التساؤل الذي شكل محور اهتمام Gramsci في عمله النظري هو حول الأسباب التي تحول دون الانتقال نحو الاشتراكية في مجتمعات أوروبا الغربية، كما تنبأ به ماركس عندما أكد بأن الثورة ستحدث في المجتمعات الرأسمالية الأكثر نضجا. على أن الذي حدث تاريخيا هو أن الثورة البلشوفية حدثت في

(١) براون كريس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

إحدى أكثر المجتمعات تخلفا (روسيا). لقد أدرك Gramsci وجود خلل في التحليل الكلاسيكي لماركس، ومن ثم أخذ على عاتقه عبء البحث عن هذا الخلل ومحاولة إصلاحه.^(١)

وقد جاءت إجابة Gramsci من خلال استعماله لمفهوم الهيمنة hegemony، وهو المصطلح الذي أصبح محورا للعديد من محاولات التنظير للعلاقات الدولية منذ المنتصف الثاني للقرن الماضي إلى اليوم. حيث أصبح يعبر عن الدولة الأكثر تأثيرا في النظام الدولي (الدولة المهيمنة hegemonic state) أو على الأقل في منطقة إستراتيجية معينة. ويرتبط مفهوم Gramsci للهيمنة بإدراكه الموسع والأكثر عمقا لمفهوم القوة. حيث يتبنى نظرة ميكيافيللي للقوة على أنها أشبه بـ"القنطور centaur"، الكائن الخرافي ذو النصف الأعلى الذي هو عبارة عن إنسان والنصف الأدنى الذي هو عبارة عن

حصان، فالقوة وفقا لهذه النظرة عبارة عن مزيج من الإكراه والاسترضاء a mixture of coercion and consent. فوفقا للإدراك الماركسي الكلاسيكي، يتم الحفاظ على النظام القائم حصريا من خلال الممارسات القهرية للدولة، تلك المؤسسة التي وصفها Engels بأنها ليست إلا آلة اضطهاد في يد طبقة ضد أخرى، فالقهر وأحيانا الخوف من القهر هو ما يحول دون ثورة الطبقة/الأغلبية المضطهدة [بفتح الهاء] ضد نظام الاضطهاد الذي تمسك به الطبقة/الأقلية المضطهدة [بكسر الهاء]. وهنا يخلص Gramsci إلى أن هذا التحليل مناسب للمجتمعات المتخلفة (مثل روسيا قبل الثورة)، ولكنه غير مناسب تماما للمجتمعات الأكثر تقدما في الغرب، حيث لا يتم الحفاظ على سيرورة النظام فقط من خلال القهر، ولكن يتم كذلك من خلال الاسترضاء^(٢)

(١) Baylis (John) & Smith (Steve), OpCit, P 236

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣٧ .

تقييم الاتجاه الماركسي للتنظير في العلاقات الدولية

من خلال فحص أهم النظريات والمقترحات المشكلة للاتجاه الماركسي غير أن أطروحات الاتجاه الماركسي في العلاقات الدولية تعرضت لقدر كبير من الانتقادات، بعضها كان فضا وقاسيا على ح(ب)ت)عير كل من Viotti & Kauppi اللذين لخصا مجموع الانتقادات الموجهة للمقاربة الماركسية للعلاقات الدولية فيما يلي:

١- مشكلة السببية:

بعض الانتقادات ركزت على عدم حسم نظرية التبعية بمختلفة تياراتها في ما إذا كانت التبعية تؤدي إلى حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي (كما يدعي الماركسيون) أم أن التخلف هو الذي يضع الدول في وضعية التبعية، بصيغة أخرى، لم يحسم منظرو التبعية فيما إذا كانت التبعية سببا أم نتيجة للتخلف.

2- مشكلة الحتمية الاقتصادية:

يعمد الماركسيون إلى اختزال عملية النظام الدولي برومتها في عملية تراكم رأس المال والديناميكيات المرتبطة به، بينما يتم إهمال التفسيرات غير الاقتصادية noneconomic للإمبريالية والعلاقات بين الدول. فهذا العامل - على سبيل المثال - يعجز عن تفسير نظام التنافس بين الوحدات السياسية في الفترات السابقة للرأسمالية precapitalist (قبل القرن الخامس عشر)، إذ يمكن على سبيل المثال تفسير الحروب البولونيزية التي ناقشها Thucydides باستعمال المفاهيم الواقعية كالفوضى anarchy والمعضلة الأمنية security dilemma أكثر من المفاهيم الماركسية التي تركز على البعد الاقتصادي في التفسير^(١)

Ibid: P 357 (١)

3- سيطرة النظام system dominance :

هناك تركيز مبالغ فيه على العوامل الدولية في تفسير الفقر والتبعية في دول المحيط، وفي المقابل يتم إعطاء دور أدنى للمتغيرات المحلية، وهو ما يدفع بالماركسيين - خاصة أصحاب نظرية التبعية - إلى توجيه اللوم لدول الشمال المصنعة على أنها المتسببة في أية مشكلة اقتصادية، سياسية أو اجتماعية تواجهها دول العالم الثالث (من غياب النمو الاقتصادي، مروراً بعدم الاستقرار الاجتماعي وصولاً إلى هيمنة الحكومات التسلطية).

4- الصرامة النظرية theoretical rigidity:

من أهم المشاكل التي تعاني منها النظريات الماركسية عموماً، تلك المتعلقة بأسسها النظرية والمنهجية، فهي تعتمد على بناء نظري theoretical construct واحد (التبعية أو النظام - العالم) من أجل احتواء نماذج وحالات خاصة متعددة. كما أن الماركسيين غالباً ما يعمدون إلى إجراء تغييرات في النظريات والمفاهيم على ضوء الأدلة الإمبريقية أو على ضوء الإشكاليات التي تطرحها دراسات الحالة case studies، وأكثر من ذلك، فبعض الماركسيين لا يلجئون إلى دراسات الحالة إلا إذا بدا أنها قادرة على تزويد حججهم بالأدلة؛ وهو ما يلغي أي نوع من أنواع التوتر tension بين النظرية والنتائج theory and findings. إضافة إلى ذلك، فالماركسيون يفتقرون إلى الرغبة في اعتماد فرضيات بديلة [عوض فرضياتهم الأصلية التي قد لا تصمد أمام الواقع الإمبريقي]^(١)

5- تفسير الحالات الشاذة accounting for anomalies:

يضاف إلى ما سبق عجز النظريات الماركسية (خاصة نظرية التبعية) عن تفسير النقلة التنموية في بعض دول العالم الثالث الناجحة اقتصادياً، كفرنزويلا، البرازيل، سنغافورة وكوريا الجنوبية. وهي دول

Ibid: P 358(١)

لا تمثل نموذجاً للتنمية المستقلة، وإنما تبدو أنها استفادت بنجاح من الروابط الدولية [المشاركة بفعالية في الاقتصاد العالمي، والتفاوض بنجاح مع الشركات متعددة الجنسيات والمؤسسات الدولية].

إضافة إلى الانتقادات السابقة التي سجلها كل من Viotti & Kauppi، يمكن تسجيل القصور الفادح للاتجاه الماركسي في إدراك مستويات تحليل العلاقات الدولية، وذلك من خلال تركيزه على الطبقات كوحدة تحليل أساسية في فهم العلاقات الدولية، رغم أن هذا الادعاء يحمل في طياته تناقضاً مع تركيز الماركسيين على تحليل نماذج الدولة في كل من المركز والمحيط، والكيفية التي يتم بها استغلال جهاز الدولة من طرف طبقة الأقلية البرجوازية لاستغلال الطبقة العاملة، ثم الكيفية التي تستعين بها البروليتاريا بجهاز الدولة لإتمام مرحلة الانتقال من النظام الاشتراكي إلى مرحلة الشيوعية؛ وهو ما

يجعل من الدولة وحدة تحليل غير ثانوية في الأطروحات الماركسية. هذا، إضافة إلى كون بعض النظريات الماركسية (نظرية النظام - العالم كنموذج) نظريات نسقية systemic في الأساس، فهي تعتمد على النظام - وليس الطبقات - كمستوى تحليل.

غير أنه ورغم الانتقادات السابقة وغيرها، يبقى أن نشارك الأستاذ جون كينيث غالبريث كلمة التحذير التي أطلقها في كتابه "تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر"؛ إذ يشير إلى أن البحث عن أخطاء ماركس [وأتباعه من منظري العلاقات الدولية] لم يكن مجرد جهد فكري، وإنما هو منذ عهد طويل صناعة في خدمة من مازالوا يرون في ماركس خطراً شديداً، ففي نهاية المطاف، يبقى أن الاتجاه الماركسي قد أسهم في إثراء حقل التنظير للعلاقات الدولية.^(١)

(١) غالبريث (جون كينيث)، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠، ص ١٥٤.

الخاتمة

يتضح مما سبق ان مظهر الماركسية هو مظهر خادع ولا شك، والاشتراكية العلمية أو "الماركسية" مذهب مادي وجبري، وهو النتيجة النهائية لمعادلات رياضية وحسابية ومن غير المعقول أن تهدف مثل هذه المعادلات إلى غاية اختيارية أو معنوية معينة، فهي كحاصل ضرب رقم في رقم آخر، أما الناحية الإنسانية والإرادية فإن الماركسية لم تتجاهلها فحسب بل اتخذت منها وسيلة للسخرية والتهمك، وقد حملت حملة شعواء على الاشتراكية السابقة لها لأنها كانت تهدف لإنصاف الفقراء وإصلاح الحالة

الاجتماعية على أساس العدالة والمساواة، والحرية وغيرها من المعاني التي ترى فيها كلمات جوفاء و سنيين ذلك من خلال النتائج التي توصلنا اليها من خلال هذا البحث .

الاستنتاجات

- ١- الماركسية عبارة عن مجموعة من الأفكار والنظريات ، وجدت على أساس تحليل كارل ماركس ونقده للرأسمالية. لقد طور كارل ماركس العناصر الاساسية للتحليل الاقتصادي في كتابه (راس المال Das Kapital) واستمر ذلك حتى وفاته في عام ١٨٨٣ .،وتم كتبها فريدريك انجلز ونشرها .
- ٢- الماركسية الكلاسيكية (التقليدية) تعتبر انطوائية وتقتصر على فئة انتقائية معينة اي نخبة تركز نقاشاتها على النظريات العلمية الحقيقية الثورية والملامح السياسية للماركسية اما المواضيع المركزية لديهم يدور محورها حول الطبقات في المجتمع والثورة وكذلك نظريات القيمة والفائدة والربح.
- ٣- الماركسية مابعد الماركسية التقليدية . تمثل التيار الماركسي الذي يمتد من منتصف الثمانينات ومابعد. ففي حين ان الماركسية التقليدية انغلقت على نفسها كانت الماركسية مابعد الماركسية التقليدية منفتحة. والنقاط الجوهرية التي اصبحت مجالاً للتحديات وللطعن هي مركزية موضوع الطبقات والضرورة التاريخية وحتمية الثورة.
- ٤- الماركسية المعاصرة: فاذا كانت الماركسية التقليدية والماركسية مابعد التقليدية يقف احدهما ضد الاخر كفرضية والاخر كفرضية مضادة له فان الماركسية الحديثة يمكن اعتبارها ومن

جوانب عديدة بانها مشروع اتحاد لمركب يتالف من عدة فرضيات او ظواهر متناقضة تتجمع في وحدة متكاملة.

٥- الماركسية وهي كمذهب كل كامل لا يتجزأ، فلا يمكن الإيمان بنزعتها نحو المساواة، ومحورها للملكية دون الإيمان بنظريتها في التطور المادي، والصراع الطبقي، وإنكارها للأديان والمثل العليا واستهانتها بالحرية الشخصية، فأما الإيمان بالمذهب كله وإما رفضه كله، وفي الحالة الأولى لابد من دفع الثمن كاملاً من حرية الإنسان ومعنوياته، وإنسانيته.

٦- تضيق الشعوب بحياة الحرية والتزاماتها القاسية فتضعف أمام إغراء الماركسية المريحة وتنصاع لصيحة الماركسيين في الثورة على الرأسماليين والفاشييين والاستغلاليين، فإذا فعلت وانتصرت وضعت السلطة المطلقة في يد قادة آخرين، وعندئذ تجد البيروقراطية مكان الديمقراطية.

المصادر

اولاً / القرآن الكريم

ثانياً / الكتب العربية

١- أحمد جمال الدين ، نقد النظرية الماركسية ، دار الحكمة للطباعة و النشر ، ط١ ، مصر ،

. ١٩٤٨ م .

٢- الاستاذ جعفر الهادي ، دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية ، مركز ديريت ، ب ت ، قم ،

.

٣- براون كريس ، فهم العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة ،

. ٢٠٠٤ .

٤- بيليس (جون) و سميث (ستيف)، عملة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث ، مركز

الخليج للأبحاث، دبي ، ط١ ، ٢٠٠٤ .

٥- د. عبد الحكيم الرفاعي بك ، الاقتصاد السياسي ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان والتأليف

والترجمة والنشر ، (ب ت) .

٦- د. محمد سعيد رمضان البوطي ، نقض اوهام المادية الجدلية ، دار الفكر ، دمشق، ط١ ،

. ٢٠٠٧ .

٧- رشاد غنيم ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨، الاسكندرية .

٨- روبير شنيرب ، تاريخ الحضارات العام ، عزّيه يوسف أسعد داغر ، المجلد ٦ ، بيروت ، دت.

- ٩- عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣ .
- ١٠- عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٣ .
- ١١- عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (الكلاسيكية)، الاسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٣، الاسكندرية .
- ١٢- عبد الله محمد عبد الرحمان، النظرية في علم الاجتماع (المعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (ب ت) .
- ١٣- غالبريث (جون كينيث)، تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠ .
- ١٤- محسن الموسوي، القرن الواحد والعشرين والبحث عن الهوية، دار الهادي، بيروت لبنان، ١٩٩١ م .
- ١٥- موريس كورمفورث، الفلسفة الاشتراكية، ترجمة عيد الجبار عوض، دار الكتب و الوثائق الوطنية، بغداد، ١٩١٦ .

ثالثاً / المصادر الاجنبية

B. Russel. A History of Western Philosophy, N.Y. 1945, p. XIII,p178

رابعاً / الرسائل و الاطاريح

١- عقيل صادق زعلان ، نقد الفلسفة المعاصرة عند السيد محمد باقر الصدر (دراسة تحليلية)

، رسالة دكتوراه ، جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧

٢- محمد سعيد ريان ، دروب الاشتراكية، ورقة جامعية - جامعة حيفا ١٩٧٣ .

خامسا / المقالات و المجالات

١- الأستاذ عباس محمود العقار ، مقالة بعنوان " في بيتي " ، العدد ٦٣٣ من مجلة الاثنين الصادر

في ٢٩ يوليه سنة ١٩٤٦م.

٢- اسماعيل مطهر ، مقتطفات من رسالة عصر الاشتراكية .

٣- عصام الدين حنفي ناصف ، مقالة بعنوان "موسكو، برلين، لندن" .

٤- مجلة الهلال : عدد مايو سنة ١٩٤٨ ، الجزء ٥ من المجلد ٥٦ .